Ismael Mukhlif KHUDAIR¹

**THE STORY OF THE MESSIAH, JESUS, SON OF MARY, IN
THE INTERPRETATION OF AL-ALUSI RUH AL-MAANI**

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.8-3.20>

Research Article

Received:

08/09/2021

Accepted:

28/09/2021

Published:

01/11/2021

Abstract:

The Story of Christ Jesus Ibn Maryam in the interpretation of Al-Alusi, the spirit of the meanings) The First International Remar Conference for Contemporary Studies in Social Sciences. The scholar Abi al-Thana' al-Alusi dealt with this story in his interpretation of Ruh al-Ma'ani.

I have consulted the original sources and the Bible Dictionary to document the facts.

The research was divided into an introduction, five chapters, and a conclusion.

Key words: Christ Jesus Ibn Maryam, Ruh al-Ma'ani, Messiah.

This article has been
scanned by iThenticate
No plagiarism detected

Copyright © Published
by Rimak Journal,
www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih,
Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

¹ Dr. , Iraqi University, Iraq, dr.ismael2022@gmail.com, <https://orcid.org/0000-0002-7381-0309>

قصة المسيح عيسى ابن مريم في تفسير الألوسي روح المعاني

اسماعيل مخلف خضير²

الملخص

(قصة المسيح عيسى ابن مريم في تفسير الألوسي روح المعاني) مؤتمر ريمار الدولي الأول للدراسات المعاصرة في العلوم الاجتماعية، ويأتي هذا البحث ضمن محور الفلسفة والثقافة الدينية وله علاقة وثيقة بعلم الأديان وكيف تناول القرآن قصة المسيح عيسى ابن مريم بعيداً عن الافتراءات والاسرائيليات وكذلك ذكرت كيف تناول العلامة أبي الثناء الألوسي هذه القصة في تفسيره روح المعاني. وقد رجعت إلى المصادر الاصلية وإلى قاموس الكتاب المقدس لتوثيق الحقائق. وقسمت البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة المقدمة: وذكرت فيها سبب اختيار البحث وخطته المبحث الأول: عيسى (عليه السلام) في القرآن المبحث الثاني: ولادة النبي عيسى (عليه السلام) المبحث الثالث: عيسى (عليه السلام) رسولاً إلى بني اسرائيل المبحث الرابع: معجزات النبي عيسى (عليه السلام) وبشارته بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم المبحث الخامس: نزول عيسى (عليه السلام) آخر الزمان. ثم الخاتمة وأهم النتائج. الكلمات المفتاحية: فيروس كورونا، الجريمة، السرقة، قانون الصحة، قانون العقوبات.

المقدمة:

تناول القرآن قصة المسيح عيسى ابن مريم بعيداً عن الافتراءات والاسرائيليات وكذلك ذكرت كيف تناول العلامة أبي الثناء الألوسي هذه القصة في تفسيره روح المعاني. وقد رجعت إلى المصادر الاصلية وإلى قاموس الكتاب المقدس لتوثيق الحقائق. وقسمت البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة المقدمة: وذكرت فيها سبب اختيار البحث وخطته المبحث الاول: عيسى (عليه السلام) في القرآن المبحث الثاني: ولادة النبي عيسى (عليه السلام) المبحث الثالث: عيسى (عليه السلام) رسولاً إلى بني اسرائيل المبحث الرابع: معجزات النبي عيسى (عليه السلام) وبشارته بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم المبحث الخامس: نزول عيسى (عليه السلام) آخر الزمان. ثم الخاتمة وأهم النتائج.

تمهيد عن الإمام الألوسي وتفسيره روح المعاني

الألوسي هو أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله افندي الألوسي البغدادي، ولد في أسرة عريقة صالحة متدينة في يوم الجمعة 14 شعبان سنة 1217 هـ، في جانب الكرخ في بغداد. وينتهي نسبه من جهة أبيه إلى الحسين بن علي (رضي الله عنه) ومن جهة أمه إلى الحسن بن علي (رضي الله عنه).

² د.، الجامعة العراقية، العراق، dr.ismael2022@gmail.com

والألوسي: نسبة إلى جزيرة أو قرية (ألوس) الواقعة في منتصف نهر الفرات، حيث كان أجداده يقيمون فيها، ثم نزحوا إلى بغداد i.

وكان والده عبدالله افندي مدرسا في جامع أبي حنيفة أربعين سنة وكان يذهب ماشياً للدرس احتراماً لأبي حنيفة، ودرس في مدارس أخرى ii.

بدأ الألوسي منذ صغره بحفظ القرآن الكريم وما ن بلغ الخامسة من عمره حتى ظهرت عليه علامات الذكاء، فبدأ بحفظ المتون، ثم لم يزل يقرأ عند والده حتى استوفى الغرض كما يقول. من علم العربية وحصل طرفاً جليلاً من فقه الحنفية والشافعية وأحاط خبراً ببعض الرسائل المنطقية، وكتب الحديث، وكان ذلك قبل أن يبلغ العاشرة من عمره iii .

وكان الألوسي يحب تحصيل العلم فأخذ ينتقل بين كبار علماء عصره يأخذ منهم ويدرس على أيديهم، ولما انقضت ثلاث عشرة سنة من عمره استقر عند شيخه الأجل (علاء الدين افندي الموصلي) ولم يزل يقرأ عنده حتى تخرج عليه وتآدب بأدبه وأحاط بتفسير القرآن الكريم قبل أن يبلغ العشرين ولما بلغ عمره إحدى وعشرين سنة أجازته في يوم مشهود اجتمع فيه علماء بغداد وكان ذلك في المدرسة الخاتونية قريباً من الحضرة الكيلانية (iv).

ونصّب الألوسي مدرسا في مدرسه الحاج نعمان الباجة جي، ودرس الألوسي في مسجد الحاج الملا عبد الفتاح وفي مسجد القمرية والسيدة نفيسة وجامع المرجانية وبلغت دروسه في اليوم 24 درساً (v).

وبعد وفاة والده (1246 هـ \ 1830 م) انتقل من الكرخ وسكن في جوار مسجد الشيخ عبد القادر الجيلي وظهر صيت الألوسي بين الناس وانتشر هنا وهناك أخبار ذكائه وعلمه وفضله فجلبت عليه حسد الحاسدين (vi).

وأطلق على الألوسي الكثير من الألقاب من قبل العلماء والأدباء والوزراء ومن هذه الألقاب:

1. شيخ علماء العراق
2. المتفرد في جميع العلوم بالاتفاق
3. آية الله الكبرى
4. نادرة الزمان
5. بحر البيان الزاخر
6. سيويه العربية
7. سعد زمانه... اي سعد الدين التفتازاني.
8. خاتمة المفسرين
9. الشهاب الثاقب
10. علامة علماء العراق
11. البحر الطامي
12. فخر الاسلام
13. حلال العويصات
14. مفتي الانام

إلى غير ذلك من الألقاب (vii).

ولتفسيره روح المعاني منزلة عظيمة بين كتب التفسير المشهورة التي تمثل مدارس التفسير المختلفة، ويعتبر من أعظم التفاسير قدراً وأغزرها علماً وأكثرها فائدة؛ وذلك لأنه جمع لنا المادة الأساسية المهمة من جميع التفاسير المتقدمة ومن كتب التراث الإسلامي المتنوعة فهو يُعدّ موسوعة جامعة لمختلف أنواع العلوم والآداب والفنون.

والألوسي لا ينقل الآراء فقط بل يناقشها ويفندھا ويرجحها والألوسي صاحب عقلية متنورة فهو يرفض الأخبار السقيمة والقصص الإسرائيلية والآراء الضعيفة مع تمسكه الشديد برأي السلف، وقد أفاد الألوسي من التطور العلمي الذي وصل إليه زمانه في تفسير الآيات الكونية وهذه ميزة تعطي لتفسيره مكانة خاصة بين كتب التفسير، والألوسي يظهر بمظهر المصلح في تفسيره فهو يعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية في معالجة التخلف في العالم الإسلامي وهذا يعطي لتفسيره مكانة محترمة (viii).

وتفسير روح المعاني أفرغ فيه مؤلفه وسعة وبذل مجهوده حتى أخرجه للناس كتاباً جامعاً لآراء السلف رواية ودراية مشتملاً على أقوال الخلف بكل أمانة وعناية فهو جامع لخلاصة كل ما سبق من التفاسير، وهو إذ ينقل عن هذه التفاسير ينصب نفسه حكماً عدلاً بينها، ويجعل من نفسه ناقداً ومدققاً ثم يبدي رأيه حراً فيما ينقل فتراه كثيراً ما يعترض على ما ينقله عن أبي السعود أو عن البيضاوي أو عن أبي حيان أو عن غيرهم كما تراه يتعقب الفخر الرازي في كثير من المسائل ويرد عليه، ثم إنه إذا استصوب رأياً لبعض من ينقل عنهم انتصر له ورجحه على ما عده (ix).

إذن تفسير الألوسي تفسير موسوعي، إذ كان المفسرون قبله كلُّ له منهجه الخاص، فمنهم من أكد على الجانب النقلي كابن جرير والسمرقندي وابن كثير والسيوطي، ومنهم من أكد على الجانب البياني كالزمخشري ومنهم على المذهب العلمي والكلامي كالرازي ومنهم على الجانب النحوي كأبي حيان وهكذا، والألوسي جمع بين تلك المناهج جميعاً فهو يهتم بالجانب النقلي والجانب العقلي ويعنى بالمسائل الفقهية والمسائل البلاغية ويعرض آراء الملل والنحل ولا يترك عرض الأخبار والقصص والتاريخ.

ورحب العلماء بتفسير الألوسي وتلقوه بالقبول ووضعه بين التفاسير المشهورة، وأطروا كثيراً في مدحه، ورضوا عن طريقة مؤلفه، واعترفوا بتعمقه في العلوم التي يحتاج معرفتها المفسر المعتبر (x). فمن الذين كتب عنه وقرظه:

1. العلامة محمد سعيد أفندي المفتي السابق لبغداد الذي وصفه بدائرة معارف للعلوم.
2. العلامة محمد أفندي الطبقجلي الذي عده خاتماً للتفاسير.
3. العلامة محمد أمين أفندي واعظ الحضرة القادرية الذي وصفه بـ: جامع ما تفرق في كتب شتى.
4. العلامة الشاعر محمد أفندي العمري الذي عده مجدداً لما دُرس من آثار الرازي وأبي السعود.
5. السيد كاظم الرشتي الذي وصفه بأنه لم ينسج ناسج على منواله.
6. العلامة عبد الغفور أفندي الذي وصفه بأنه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.
7. العلامة محمد أفندي الراوي الذي وصفه بأنه أجاد بالمسائل لكل سائل.
8. الشاعر عبد الغفار الأخرس الذي وصفه بأنه الآية الكبرى على إطلاع صاحبه وعلو شأنه في العلوم وارتفاعه.
9. العلامة محمد فيضي الزهاوي مفتي العراق وصفه بقصيدة مشهورة قال فيها:

لئن كان في التفسير قصداً مؤلفاً فقد حققت فيه العلوم كما يحرى

- كما نال تفسير الألوسي إعجاب المتأخرين وحاز على رضا وتقدير المعاصرين.
10. فكان شيخ الأزهر يوسف النابلسي يقدمه إلى المصريين ويدعوهم إلى طبعه لجلالة قدره ودقة ما فيه.
11. والشيخ محمد الأشموني يقرظه فيقول: (وبعد فهذا كتاب جليل في باب عديم المثل، وقد شهدت له الأفاضل وأذعنت جميعاً بأنه الفاضل) (xi).
12. أما السيد محمد رشيد رضا فقد اعتبر تفسير روح المعاني من أجل التفاسير وهو أحد مصادر تفسيره المنار يستشهد به ناقداً ومعجباً، واعتبر صاحبه عقلية كبيرة وعالماً ذكياً.
- ولقد اعترف المحدثون بمكانة تفسير روح المعاني الممتازة بين كتب التفسير.
13. يقول الشيخ العلامة قاسم القيسي مفتي بغداد (ت 1955 م) (وأما تفسير العلامة محمود شهاب الدين أبي الثناء الألوسي المسمى بروح المعاني فليس له في الجمع والتحقيق ثاني حوى من الدقائق والحقائق ما لا يسع شرحه كلام، وهو خال عن الأباطيل والإسرائيليات والروايات الواهية والخرافات، وجامع للمعقول والمنقول بتفصيل وسط مقبول) (xii).
14. الشيخ عبد العظيم الزرقاني صاحب كتاب مناهل العرفان يقول: (وهذا التفسير من أجل التفاسير وأوسعها وأجمعها، نظم فيه روايات السلف بجانب آراء الخلف المعقولة وألف فيه بين ما يفهم بطريق العبارة وما يفهم بطريق الإشارة) (xiii).
15. ويقول محمد حسين الذهبي: (وجملة القول فروج المعاني للعلامة الألوسي ليس إلا موسوعة تفسيرية قيمة) (xiv).

16. ويقول د. محسن عبد الحميد: (لم يكن تفسير الألوسي اعتيادياً لكثير من التفاسير، وإنما كان يُعبر عن حاجة عصره إلى تفسير جديد يلم شتات التفاسير ويعالج بعض المسائل التي استحدثت في العالم الإسلامي ويوجه نص القرآن الكريم إلى محاربة الفلسفات الدخيلة والأوضاع الاجتماعية الفاسدة) (xv).

ويُعد تفسير (روح المعاني) من أشهر مؤلفات الألوسي (رحمه الله) وقد عدّه كثير من العلماء موسوعة تفسيرية؛ والسبب في ذلك يعود لكون المؤلف متأخراً فأفاد من معظم ما دَوّن في هذا العلم من التفسير بالمأثور أو التفسير بالرأي فجاء التفسير جامعاً للتفسير بالرواية والدراية، وكان موقفه ممن سبقه، موقف الناقد المدقق والحكم المحقق، فتراه يتعقب، ويرد، ويصوّب، ويشرح، وهو في كل هذه الأحوال يضع الحق هدفاً، ويجعل الصواب غاية لا تأخذه في الله لومة لائم لذا جاء تفسيره من أوسع وأدق التفاسير إذ يقع في ثلاثين جزءاً تضمنها خمسة عشر مجلداً كبيراً، وهو مطبوع في أكثر من دار، ومتداول، وذائع الذكر والصيت بين أكثر أهل العلم، فرحم الله مؤلفه وجزاه عن الإسلام خيراً.

وقد أتم الألوسي تفسيره سنة (1267 هـ) قبل وفاته بثلاث سنوات (xvi) وهذا يعني أنه استغرق تأليفه خمس عشرة سنة فرحم الله ذلك الإمام لما بذله من جهد في خدمة كتاب الله تعالى.

المبحث الأول: عيسى - عليه السلام - في القرآن

المطلب الأول: ولادة عيسى - عليه السلام -

اصطفى الله سبحانه مريم وفضلها على نساء العالمين، وأمرها بالصلاة والعبادة قال تعالى (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾) xvii

يقول سيد قطب - رحمه الله - (والإشارة إلى الطهر هنا إشارة ذات مغزى، وذلك لما لا بس مولد عيسى - عليه السلام - من شبهات، لم يتورع اليهود أن يلصقوها بمريم الطاهرة معتمدين على أنّ هذا المولد لا مثال له في عالم الناس، فيزعمو أنّ وراءه سرّاً لا يُشرف.. قبهم الله!) .

وبعد أن أخبرت الملائكة مريم أن الله اصطفاها وطهرها وفضلها على نساء العالمين، بعث لها الملائكة بعد فترة لتبشرها بذلك الولد المعجزة.

قال تعالى (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بَكِيمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾) .

المراد بالملائكة جبريل - عليه السلام - الكلمة أطلقت على عيسى باعتبار أنه خُلق من غير واسطة أب بل بواسطة كن فقط، والمسيح لقب عيسى وهو من الألقاب المشرفة كالفاروق.

والمسيح من الناحية اللغوية ليست اسماً وإنما لقباً، وهي ترجمة للكلمة العبرية (منسياً) بمعنى ممسوح بالدهن والزيت المقدس، والمراد في اللغة اليونانية للممسوح بالدهن أو الزيت المقدس وهي كلمة (خريستون Christos) التي نحل منها على كلمة (كرايست Christ) الانجليزية، وقد كان الكهنة والملوك يمسحون حينما يُرسمون للخدمة .

وأصله بالعبرية مشيحاً ومعناه المبارك، وقيل معناه الصديق وعن كثير من السلف أن ((المسيح)) مشتق من المسح واختلفوا في وجه إطلاقه على عيسى فقليل لأنه مُسح بالبركة واليمن روي ذلك عن الحسن وأبن جبير، وقيل لأنه كان يمسح عين الأكمه فيبصر وروي ذلك عن الكلبي، وقيل لأنه كان لا يمسح ذا عاهة بيده إلا بريء روي عن ابن عباس وقيل غير ذلك ومعنى المسيح عند النصاري: هو المكرس للخدمة والفداء xviii

(وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا) الوجيه: ذو الجاه والشرف والقدر وقيل الكريم، ووجهته في الدنيا بالنبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة بقبول شفاعته وعلو درجته.

ومن المقربين عند الله يوم القيامة، ويكلم الناس في المهدي قليل في ساعة واحدة أمام قومه.

وكهلاً قليل سيكلمهم عندما ينزل من السماء والكل بين الأربعين والستين من العمر وجعله الله معدوداً من الصالحين.

واستغربت مريم وتعجبت وقالت أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشراً أي لم أتزوج ولم يطئني بشر، فقال لها قيل جبريل كذلك يخلق الله ما يشاء إذا أراد شيئاً يقول له كن فيحدث ويكون. وذكر لها أن الله يعلمه الخط والكتابة والفقه وعلم الحلال والحرام ويعلمه التوراة والإنجيل. xix

وهكذا تلقت مريم - رضي الله عنها - البشارة من جبريل - عليه السلام - وصارت على يقين بأن الله سيهبها ولداً. وتحقق الوعد وأرسل الله - جبريل - عليه السلام - في صورة بشر، وحاورها ثم نفخ فيها من روح الله فحملت بعبسى - عليه السلام -.

ووردت هذه المشاهد في سورة مريم بعد قصة يحيى - عليه السلام - فولادة يحيى كانت معجزة لكن ولادة عيسى كانت معجزة أكبر.

يقول سيد قطب: (وقد تدرج السياق من القصة الأولى، ووجه العجب فيها هو ولادة العاقر من بعلمها الشيخ إلى الثانية ووجه العجب فيها هو ولادة العذراء من غير بعلم وهي أعجب وأغرب) xx

قال تعالى (وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾) xxi.

هنا خطاب وأمر للنبي - صلى الله عليه وسلم - بذكر قصة مريم إثر قصة زكريا - عليه السلام - لما بينهما من كمال الاشتباك والمناسبة، والمراد بالكتاب عن بعض المحققين السورة الكريمة وعند بعضهم القرآن، أي اذكر نبأ مريم إذ اعتزلت من أهلها مكاناً شرقياً من بيت المقدس أو من أهلها، فأرسلنا إليها جبريل - عليه السلام - فتمثل لها بشراً سوي الخلق كامل البنية فتعوذت بالله منه وهنا دليل على أنه لم يخطر ببالها شائبة ميل إليه، أي أعوذ بالرحمن منك إن كان يرجى منك أن تنقي الله تعالى وتخشاه.

فقال لها إنما أنا رسول ربك مالك أمرك والناظر في مصلحتك الذي استعذت به، لأكون سبباً في هبته بالنفخ في الدرع فيهب لك غلاماً طاهراً من الذنوب، وقالت له كيف يكون لي غلام ولم يباشرني بالحلال رجل، ولم أكن زانية، فقال لها كذلك قال ربك هو علي هين؛ لإزالة الاستبعاد أو لتقرير التحقيق، ولنجعل هذا الغلام آية وبرهان للناس ورحمة عظيمة منا عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بإرشاده وكان ذلك أمراً محكماً قد تعلق به قضاؤنا الأزلي. xxii

وقابل جبريل - عليه السلام - مريم وهي بعيدة عن أهلها، ونفخ نفخة بأمر الله، وكان في النفخة كلمة الله الأزلية (كن) وفيها روح من عند الله، وشاء الله أن يتخلق الجنين في رحمها بتلك النفخة فحملت بعبسى - عليه السلام -.

وقد ذكر القرآن ولادة عيسى - عليه السلام - قال تعالى (فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَتَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَرَيَّ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكَلِيَ وَالشَّرْبِي وَقَرِي عَيْنًا -فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾) xxiii.

أي: فنفخ جبريل فيها فحملت فاعتزلت قومها وهو في بطنها مكاناً بعيداً فألجأها الطلق إلى جذع النخلة لتستند إليه عند الولادة، قالت يا ليتني مت قبل هذا الوقت وقالت هذا استحياء من الناس وخوفاً من لائمهم، وكنت شيئاً منسياً، فنادها جبريل من مكان أسفل منها لا تحزني قد جعل ربك بمكان أسفل منك جدولاً وهزي بجذع النخلة تساقط عليك رطباً وهو نضيج البسر صالح للاجتماع، فكلي من ذلك الرطب واشربي من ذلك السري وطبي نفسي وأرضي عنها ما أحزنك، فإمّا ترين أحداً من البشر، فقولي له إن استنطقك إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم أحداً من الإنس بعد أن أخبرتكم بنذري. xxiv

والمكان الذي ولد فيه عيسى - عليه السلام - المكان القصي هو بيت لحم في فلسطين وقد ذكر النصارى هذا وقالوا مدينة بيت لحم ولد فيها المخلص وقد بنوا هناك كنيسة المهد .

وقد مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليلة الإسراء ببيت لحم وصلى فيها، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال قال الرسول صلى الله عليه وسلم (أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل خطوها عند منتهى طرفها فركبت ومعي جبريل - عليه السلام - فسيرت فقال: انزل فصل فنزلت فصليت.

فقال: أتدري أين صليت ؟ صليت بطيبه وإليها المهاجر !

ثم قال: أنزل فصل، فنزلت فصليت.

فقال أتدري أين صليت ؟ صليت بطور سيناء حيث كلم الله عز وجل موسى - عليه السلام -.

ثم قال: أنزل فصل فنزلت فصليت.

فقال: أتدري أين صليت ؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى - عليه السلام - ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي

الأنبياء - عليهم السلام - فقدمني جبريل حتى أممهم... xxv

والشاهد في الحديث أن جبريل - عليه السلام - أمر محمداً - صلى الله عليه وسلم - أن ينزل فيصلي في بيت لحم وأخبره

أنها مكان ولادة عيسى - عليه السلام -.

المطلب الثاني: كلام عيسى - عليه السلام - في المهد

وبعد أن وضعت مريم وليدها الرضيع عيسى، وأكلت من الرطب وشربت من الماء رجعت لها قوتها، وحملت ابنها

وتوجهت إلى أهلها، وعندما رآها القوم تعجبوا واندعشوا قال تعالى ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿ ٢٨ ﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي

الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿ ٢٩ ﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿ ٣٠ ﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ

مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿ ٣١ ﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿ ٣٢ ﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا

﴿ ٣٣ ﴾ xxvi

أي: جاءتهم مع ولدها حاملة إياه فقالوا لها يا مريم لقد فعلت شيئاً عظيماً عجباً (يا أخت هارون) وليس المراد بهارون

أخا موسى - عليهما السلام - ما كان أبوك رجلاً سوء وما كانت أمك زانية، فأشارت إلى عيسى أن كلموه فقالوا منكروين

لجوابها كيف نكلم صبي في حجر أمه، فقال عيسى إني عبد الله آتاني الكتاب قيل: التوراة أو الإنجيل وجعلني نبياً وجعلني

مباركاً نفاعاً حيثما كنت وأمرني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وجعلني باراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً xxvii.

كان قوم مريم يعرفون صلاحها وتقواها وعفافها وطهارتها لذلك لم يتهموها بفاحشة الزنا، لكنهم لما رأوا الطفل في

حضانها وهو أمر غريب يدعو إلى الريبة اكتفوا بقولهم لقد جئت شيئاً فرياً، وفريا والفري الأمر العجيب xxviii

وأجرى الله سبحانه وتعالى معجزة لمريم البتول تخلصها من هذا الموقف المحرج وتبريء ساحتها وتثبت عفتها

وطهارتها، وهي كلام عيسى وهو لا يزال مولود جديد عمره بضع ساعات.

وبدأ عيسى - عليه السلام - كلامه بقوله إني عبد الله فهو عبد الله لا كما يزعم النصارى من أنه ابن الله أو أنه الله.

قال ابن كثير: ((أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبراه عن الولد وأثبت لنفسه العبودية لربه...)) (1).

وقوله ﴿ جَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ تكذيب لليهود الذين سيزعمون أنه ليس نبي وينكرون نبوته (2).

وقوله لهم ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ أي: جعلني باراً بوالدتي مريم ولم يجعلني مستكبراً ولا جباراً شقياً،

والذي يعق والديه هو جباراً شقياً.

وقال أهل العلم: لا تجد عاقاً لوالديه إلا وجدته جباراً شقياً xxix

المبحث الثاني: معجزات النبي عيسى - عليه السلام -

جعل الله تعالى معجزات عديدة لعيسى - عليه السلام - رافقت خلقه وولادته وطفولته، وعندما كبر وبعث إلى بني

إسرائيل قدم الله له عدداً من الآيات والمعجزات لبني إسرائيل، وعندما أراد اليهود قتله أنقذه الله منهم ورفعاه إلى السماء

وجعل هذا آية.

قال تعالى (وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ)

أي: الآيات الباهرات والمعجزات الواضحات كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى والأخبار بما يأكلون ويدخرون، أو كل ما

يدل على نبوته، وتأنيده بجبريل - عليه السلام - وإفراده - عليه السلام - بما ذكر لرد ما بين أهل الكتابين في شأنه من

التفريط والافراط.

معجزات عيسى - عليه السلام - التي ذكرها القرآن

أولاً: كان يخلق من الطين طيراً فينفخ فيه فيصير طائر حقيقي بإذن الله.

قال تعالى: (أَلَمْ يَخْلُقْ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ) xxx
وقال تعالى (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي) xxxi.

ثانياً: كان يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله.

قال تعالى: (وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ) xxxii.

الأكمة: هو الذي ولد أعمى . وكان عيسى - عليه السلام - يمسح بيده على الأكمة فيعيد الله له بصره. وقد عجز الطب قديماً وحديثاً على علاج الأكمة، وعيسى كان يُبريه بإذن الله وعيسى ليس طبيباً وهذا دليل على نبوته.

والبرص: هو بياض يكون في جسم الإنسان بسبب عله أصابته xxxiii

قال الألوسي: ((وتخصيص هذين الأمرين لأنهما أمران معضلان أعجزا الأطباء وكانوا في غاية الحذاقة مع كثرتهم في زمنه، ولهذا أراهم الله تعالى المعجزة من جنس الطب كما أرى قوم موسى - عليه السلام - المعجزة بالعصا واليد البيضاء حيث كان الغالب عليهم السحر، والعرب المعجزة بالقرآن حيث كان الغالب عليهم في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاغة) xxxiv

ثالثاً: إحياء الموتى بإذن الله

قال تعالى: (وَأَخْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ) xxxv

رابعاً: إخبارهم بما يأكلون وما يدخرون

قال تعالى: (بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ..) xxxvi.

إذا جاء إلى عيسى أناس أخبر كل واحد بما أكل من الطعام وبما عنده من طعام مخزون في بيته، وهذا دليل على أن الله هو الذي أخبره لأن هذه الأمور تعتبر من الغيب إلى عيسى لأنه لم يشاهدها وبعد كل هذه المعجزات لم يؤمن من بني إسرائيل إلا القليل أما الأكثرية فكذبوا عيسى واتهموه بأنه ساحر كذاب وأن ما معه سحر.

والذين آمنوا بعيسى - عليه السلام - واتبعوه سماهم القرآن الحواريين.

خامساً: معجزة إنزال المائدة من السماء.

قال تعالى:

(إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكَلَ مِنْهَا وَتَظْمِئَ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَكُنَّا عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِيَّيَّ أَغَدِّبُهُ عَذَابًا لَا أَعْدُّهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (115) وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَلَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118)) xxxvii

المبحث الثالث: بشاره عيسى بمحمد - صلى الله عليه وسلم -

لقد بشر الأنبياء السابقون بمحمد- صلى الله عليه وسلم- وكانت البشارة بشكل أخص على لسان موسى وعيسى - عليهما السلام - كما ذكر الله بعض صفات النبي محمد - صلى الله عليه وسلم- في التوراة وفي الإنجيل.

وبشّر عيسى - عليه السلام - بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن عيسى آخر أنبياء بني إسرائيل ولم يكن هناك نبي بين عيسى وبين محمد - صلى الله عليه وسلم - (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء أخوة أبناء علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيني وبين عيسى نبي...) xxxviii.

وجاءت صفات الرسول - صلى الله عليه وسلم - في التوراة والإنجيل. قال تعالى (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۚ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾) xxxix.

روى البخاري عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرراً للأمة أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً.

قال ثم سألت كعب الأحبار عن ما قال ابن عمرو فما زاد عليه حرفاً... xl

وصرح القرآن بأن عيسى (عليه السلام) قد بشّر بالنبي الخاتم قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾) xli.

لقد أمر الله عيسى أن يبشر برسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي سيبعثه من بعده وأن يأخذ على النصاري العهد أن يؤمنوا به ويتبعوه، ومع ذلك فإن النصاري الذين أدركوا محمد ﷺ قد نقضوا عهدهم مع عيسى وكذبوا محمد صلى الله عليه وسلم وأنكروا نبوته:

قال الألويسي: (فإنكار النصاري ذلك ضرب من الهذيان) xlii

وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه بشّر عيسى - عليه السلام -.

عن العرياض بن سارية - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بتأويل ذلك: دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام...) xliii

ولا فرق بين الاسمين (أحمد) و (محمد)؛ لاشتقاقهما من مادة الحمد، قال الراغب الاصفهاني: (يقال: فلان محمود إذا حُمد ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة) xliiv.

وللنبي - صلى الله عليه وسلم - عدة أسماء، قال صلى الله عليه وسلم (لي خمسة أسماء: أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي...) xlv.

وقد وردت بشارة عيسى بأحمد - عليهما السلام - في إنجيل يوحنا في الإصحاحات الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر، لكن رهبان النصاري حرفوها.

والعبارة الصحيحة في إنجيل يوحنا هي: (وسوف أذهب إلى الآب وسيرسل لكم رسولاً سيكون اسمه) (البرقليطوس) لكي يبقى معكم إلى الأبد) xlvi

إن (البرقليطوس) كلمة يونانية إغريقية معناها بالعربية بالضبط الأمجد والأشهر المشتق من التمجيد والثناء وهو (أحمد) المذكور في القرآن، والصيغة الآرامية التي يتكلم بها عيسى - عليه السلام - الواردة في البشارة هي (محامداً) أو (حمداً) وهي متناسقة مع الصيغة العربية (محمد) أو (أحمد).

إذن القرآن القائل بأن عيسى ابن مريم أعلن لبني إسرائيل أنه كان مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد واحد من أقوى البراهين على أن محمداً كان حقيقة نبياً، وأن القرآن تنزيل إلهي.

ومن المدهش أن هذا الاسم الفريد الذي لم يُعط لأحد من قبل كان (محجوزاً) بصورة معجزة لأشهر رسل الله وأجدرهم بالثناء ونحن لا نجد أبداً أي يوناني كان يحمل اسم (برقليطوس) ولا أي عربي كان يحمل اسم أحمد xlvi. ذكر هذه الحقيقة المهتدي البروفسور عبد الأحد داود الذي كان قسيساً كبيراً للكلدانيين التابعين للروم الكاثوليك وكان اسمه دافيد بنجامين كلداني، وقد درس الكتاب المقدس العهد القديم والعهد الجديد واستخرج منها بشارات أنبياء بني إسرائيل بالنبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، واقتنع أن محمداً هو رسول الله وخاتم الأنبياء، وألف كتاب (محمد في الكتاب المقدس) وقد ترجم الكتاب إلى العربية فهمي شما، وطبعته رئاسة المحاكم الشرعية في قطر عام 1985.

المبحث الرابع: نجاته عيسى - عليه السلام - من مكر اليهود ونزوله في آخر الزمان

المطلب الأول: نجاته من مكر اليهود

دعا عيسى - عليه السلام - اليهود إلى الله ولكنهم رفضوا دعوته وكفروا به، ولما ظهر كفرهم واضحاً دعا الحواريين إلى الانحياز إليه فلبوا الدعوة قال تعالى: (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَآتَيْنَاكَ الْكِتَابَ فَآخُذْ بِهِ) ٥٢ ﴿ ٥٣ ﴾. ولم يكتفي اليهود بالكفر به وتكذيبه واتهام أمه بالباطل، بل تأمروا عليه ومكروا به وأرادوا قتله فحماه الله منهم. قال تعالى: (وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْمَاكِرِينَ) ٥٤ ﴿ ٥٤ ﴾. إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ وَمُظْهَرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ xlix(٥٥ ﴾

اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى: (إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ)

1. قالوا هذا من المقدم والمؤخر أي: رافعك إلي ومتوفيك. روي هذا القول عن قتادة ii.
2. إن المراد مستوف أجلك ومميتك حتف أنفك، لا أسلط عليك من يقتلك، فالكلام كناية عن عصمته من الأعداء وما هم بصدد من الفتك به iii.
3. إن المراد: قابضك ومستوف شخصك من الأرض - من توفي المال - بمعنى استوفاه وقبضه. روي هذا عن الحسن

4. إن المراد بالوفاة هنا - النوم لأنهما اخوان، وهذا روي أيضاً عن الحسن

5. إن المراد: أجعلك كالميت، لأنه بالرفع يشبهه

6. إن المراد: آخذك وافياً بروحك وبدنك

قال الألوسي: (والصحيح كما قاله القرطبي وأن الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم) liii.

ورجح ابن كثير أن المراد بالوفاة هنا النوم وأن الله القي على عيسى - عليه السلام - النوم ثم رفعه إليه وهو نائم liv. والذي يبدو لي: أن الوفاة هنا النوم، لأن من معاني الوفاة النوم قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى) iv

وقد تبجح اليهود بادعاء قتل عيسى (وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ...)

وفي الحقيقة أنهم لم يقتلوه ولم يصلبوه بل قتلوا وصلبوا الشبيه قال تعالى: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) ١٥٧ ﴿ ١٥٧ ﴾

وقد ذكر اليهود قصص وخرافات في قضية زعم قتل المسيح وقد نقل هذه الأخبار بعض المفسرين وحشو تفاسيرهم بها. وقال الألوسي - رحمه الله - عن هذه الافتراءات التي هي من زعم اليهود والنصارى: (ولهم في هذا المقام كلام تقشع منه الجلود ويزعمون أنه في الإنجيل وحاشا لله، ما هو الا افتراء وبهتان عظيم) lvi

ويقول سيد قطب - رحمه الله: ((إن قضية قتل عيسى - عليه السلام - وصلبه قضية يخطط فيها اليهود كما يخطط فيها النصارى بالظنون.

فاليهود يقولون: إنهم قتلوه ويسخرون من قوله: إنه رسول الله فيقررون له هذه الصفة على سبيل السخرية !

والنصارى يقولون: إنه صُلب ودفن ولكنه قام بعد ثلاثة أيام) lviii

ولخص ابن كثير - رحمه الله - تلك الأحداث وذكر:

ما كان من خبر اليهود - عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه. إنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى حسدوه على ما آتاه الله من النبوة والمعجزات الباهرات التي كان يريء بها الأكمه - والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله.. إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمها الله بهاء وأجراها على يديه..

ومع هذا خالفوه وكذبوه وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم حتى جعل نبي الله عيسى - عليه السلام - لا يسكنهم في بلده بل يكثر السياحة هو وامه.. ثم لم يُقنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان وكان رجلاً مشركاً من عبدة الكواكب وكان يقال لأهل ملته اليونان وأنهوا إليه أن في بيت المقدس رجلاً يفتن الناس ويُضللهم ويُفسد على الملك رعاياه.. فغضب الملك من هذا وكتب إلى نائبه بالقدس أن يحتاط على هذا المذكور وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه ويكف أذاه عن الناس.. فلما وصل الكتاب امتثل والي بيت المقدس ذلك.. وذهب هو وطائفة من اليهود إلى البيت الذي فيه عيسى - عليه السلام - وهو في جماعة من أصحابه، اثني عشر أو ثلاثة عشر وقيل سبعة عشر نفرًا وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت فحصره هنالك، فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه، أو خروجه إليهم قال لأصحابه: أيكم يُلقى عليه شبيهي وهو رفيقي في الجنة؟ فانتدب لذلك شاب منهم فكأنه استصغره عن ذلك فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا ينتدب الا ذلك الشاب.

فقال له: أنت هو.

وألقي الله عليه شبه عيسى، حتى كأنه هو! وفُتحت ((روزنة)) من سقف البيت وأخذت عيسى - عليه السلام - سِنَّةً من النوم، فُرفِعَ إلى السماء وهو كذلك.. فلما رُفِعَ عيسى من سقف البيت خرج أولئك النفر من البيت.. فلما رأى اليهود والجنود ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى، فأخذوه في الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه... وأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبحروا بذلك.. وسلم لهم طوائف من النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقلهم lix.

وبقيت أحداث تلك الليلة خافية على اليهود والنصارى وكل ظنهم أن المقتول المصلوب - هو عيسى - عليه السلام - حتى بعث الله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن وذكر الحقيقة وكذبهم قال تعالى: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾).

المطلب الثاني: نزول عيسى - عليه السلام - في آخر الزمان.

وقد التقى به رسولنا الكريم ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج، التقى به أولاً في المسجد الأقصى، عندما صلى رسول الله ﷺ بالأنبياء إماماً وكان عيسى خلفه، ثم التقى به ثانياً لما عُرج به إلى السماء حيث قابل عيسى - عليه السلام - في السماء الثانية.

وأخبرنا الرسول عن بعض صفات عيسى - عليه السلام

قال صلى الله عليه وسلم: (ورأيت عيسى فإذا هو رجل ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس) ix يعني الحمام.

وفي حديث آخر قال: ((فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر...)) x.

وقد أخبرنا الله في القرآن وأخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن عيسى سينزل في آخر الزمان، وهذا معناه أن عيسى حي لم يموت، وحياته في السماء حياة غيبية وليست حياة كحياتنا.

{وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا} أي: أن عيسى كلم الناس وهو في المهد وسيكلمهم كهلاً عندما ينزل في آخر الزمان.

وقال ابن زيد في معنى الآية: (قد كلمهم - عليه السلام - في المهد وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل..) xii

وقد أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن عيسى ابن مريم - عليه السلام - سوف يقتل المسيح الدجال، فقال في معرض حديثه عن الدجال: ((إنه خارج خل بين الشام والعراق، فعات يميناً وعات شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا - قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: اربعون يوماً يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا اقدروا له قدره، قلنا: يا رسول الله: وما اسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به، ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروج عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضرعاً وأمدّه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردوا عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها: اخرجي

كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسب النحل، ثم يدعوا رجلاً ممتلئاً شاباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتي رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء، شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعاً كفيه على اجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُد فيقتله... (ixiii) وقال صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب ويفيض المال حتى لا يقبله أحد..). (ixiv). ونزول عيسى - عليه السلام - من علامات الساعة الكبرى.

وعندما ينزل عيسى - عليه السلام - تكون صلاة الفجر قد أقيمت فيرفض أن يصلي بهم إماماً لأن الصلاة أقيمت لأمرهم. قال: صلى الله عليه وسلم (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم..). (ixv).

وذكر العلماء بعض الحكم من نزول المسيح - عليه الصلاة والسلام - ومن هذه الحكم: الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوا المسيح وصلبوه، وينزل في آخر الزمان ليستكمل باقي عمره، وتكذيبه للنصارى في ادعاءاتهم حوله وغلوهم فيه، وشهادته العملية لخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وللإسلام بأنه الشريعة الخاتمة (ixvi).

وأخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن عيسى - عليه السلام - سيموت بعد نزوله بأربعين سنة، قال صلى الله عليه وسلم: (... ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون...) (ixvii).

وهناك عدة أعمال سيقوم بها عيسى عليه السلام بعد نزوله ومن هذه الأعمال:

يكسر الصليب، و يقتل الخنزير، يقاتل الدجال ومن معه من اليهود، يضع الجزية وينشر العدل، ويحكم بشريعة الإسلام، و يقاتل يأجوج ومأجوج، وستظهر البركة في الزروع والمواشي وسيزول التحاسد والتباغض والشحناء عن قلوب الناس، بل ستزول العداوة بين الحيوانات بحيث يمشي الذئب مع الغنم.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي وفقني لإتمام هذا البحث وقد توصلت إلى نتائج عدة اذكر منها:

- 1- إن عيسى - عليه السلام - هو آخر أنبياء بني إسرائيل وأنه عبدالله ورسوله وليس الله أو ابن الله كما تدعي النصارى.
- 2- الأنبياء اخوة وجاءوا بدين التوحيد
- 3- أعطى الله لنبيه عيسى الكثير من المعجزات
- 4- بشر نبي الله عيسى بمبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
- 5- جاء القرآن بتفاصيل عن حياة عيسى عليه السلام لم يعرفها اليهود والنصارى ولم تذكر في كتبهم.
- 6- سينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان وسيقتل المسيح الدجال كما أخبر بذلك الصادق المصدوق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ) دار العلم للملايين، ط 15، 2002

إنجيل يوحنا

التصريح فيما تواتر في نزول المسيح: محمد أنور شاه الكشميري

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة 2000م.

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت 1415هـ.

سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت

صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة 1422هـ.

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت

غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ) د.ت

في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط 35، 2005م.

محمد في الكتاب المقدس: لعبد الأحد داود

مسند الامام احمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، 1995م.

معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى بيروت، د.ت

الهوامش

- i - ينظر : الأعلام للزركلي 25/1 ، معجم المؤلفين رضا كحالة 169/12
- ii - ينظر : غرائب الاغتراب ، للألوسي ص 6.
- iii - ينظر : المصدر نفسه
- iv - ينظر : غرائب الاغتراب ص 20، حديقة الورد ، لعبد الفتاح الشواف 16/1.
- v - المسك الاذفر للألوسي ص 8.
- vi - ينظر : اعلام العراق محمد بهجة الأثري ص 23.
- vii - ينظر : غرائب الاغتراب ص 252-253.
- viii - ينظر : الألوسي مفسراً ص 338.
- ix - ينظر : التفسير والمفسرون 335/1.
- x - ينظر : الألوسي مفسراً 334 - 335.
- xi - ينظر : مقدمة تفسير روح المعاني 4/1.
- xii - ينظر : تاريخ التفسير ص 144.
- xiii - مناهل العرفان : 61/2.
- xiv - التفسير والمفسرون : 335/1.
- xv - الألوسي مفسراً : 332
- xvi - ينظر : روح المعاني 288/30.
- xvii - سورة ال عمران: 45-48
- xviii - ينظر : هل المسيح هو الله لأحمد ديدات ، ترجمه محمد مختار ، ص 34 ، تأصيل الحوار الديني محمد الفاضل اللافي 87-88.
- xix - يُنظر : روح المعاني 224-216/3.
- xx - في ظلال القرآن 2304/4.
- xxi - سورة مريم 21-16.
- xxii - يُنظر : روح المعاني 557-551/16 ، تيسير الكريم الرحمن 491/1.
- xxiii - سورة مريم 22 / 26.
- xxiv - يُنظر : روح المعاني 16 / 557-566 ، صفوة التفاسير 168/2.
- xxv - يُنظر : قاموس الكتاب المقدس ص 206.
- xxvi - سورة مريم 27-33.
- xxvii - يُنظر : روح المعاني 16 / 567 - 571
- xxviii - يُنظر : المعجم الوسيط ص 687.
- xxix - جامع البيان 192/18.
- xxx - سورة ال عمران : 49
- xxxi - سورة المائدة من آية 110.
- xxxii - سورة آل عمران من الآية 49.
- xxxiii - ينظر : غريب القرآن 105/1 ، كلمات القرآن لغازي الدروبي 3/4.
- xxxiv - روح المعاني 227 / 3 - 228.
- xxxv - سورة آل عمران من الآية 49.
- xxxvi - ال عمران : 49
- xxxvii - سورة المائدة : 112-118
- xxxviii - أخرجه البخاري في صحيحه 1270/3 ، باب ((واذكر في الكتاب مريم...)) وأخرجه مسلم في صحيحه 1837/4 باب فضائل عيسى - عليه السلام -.
- xxxix - سورة الأعراف 157-158.
- xl - صحيح البخاري 1831/4 ، باب «إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً
- xli - سورة الصف آية 6-7.
- xlii - روح المعاني 375/28.
- xliii - المسند للإمام احمد 128/4.

- xliv - المفردات في غريب القرآن 138
- xlv - أخرجه البخاري في صحيحه 1299/3 , باب ما جاز في أسماء رسول الله ﷺ .
- xlvi - إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع عشر
- xlvi - يُنظر : محمد في الكتاب المقدس , لعبد الأحد داود 212-223.
- xlvi - سورة آل عمران 52-53.
- xlvi - سورة آل عمران 54-55.
- I
- li - ينظر : تفسير القرآن العظيم 450/1.
- lii - ينظر : روح المعاني 237/3.
- liii - روح المعاني 241 / 3.
- liv - يُنظر : تفسير ابن كثير 267 / 1.
- lv - سورة الانعام من الآية 60.
- lvi - سورة النساء آية 157.
- lvii - روح المعاني 3 / 141 - 242.
- lviii - في ظلال القرآن 2 / 801.
- lix - يُنظر : تفسير القرآن العظيم 575/1.
- lx - أخرجه البخاري في صحيحه 1269/3 , باب ((واذكر في الكتاب مريم)) , وأخرجه مسلم في صحيحه 154/1 , باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال.
- lxi - أخرجه البخاري في صحيحه 1269/3 , ((باب واذكر في الكتاب مريم)).
- lxii - جامع البيان 272-273/3.
- lxiii - أخرجه مسلم في صحيحه 251/4 - 253 , باب ذكر الدجال.
- lxiv - أخرجه البخاري في صحيحه 1272/3 , باب نزول عيسى ابن مريم - عليهما السلام -
- lxv - أخرجه البخاري في صحيحه 1272/3 , باب نزول عيسى ابن مريم (عليهما السلام).
- lxvi - يُنظر : التصريح فيما تواتر في نزول المسيح - محمد أنور شاه الكشميري 93-94.
- lxvii - سنن أبي داود 117/4 , مسند الامام احمد 406/2 .